

## حفلة استقبال

حضرة صاحب المعالي عبد الحميد بدوي باشا

في يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤٥

بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

لأول مرة في تاريخ مجمع فؤاد الأول للغة العربية احتفل المجمع باستقبال عضو جديد من أعضائه استقبالا له طابع أدبي خاص . وينتظر أن يصبح هذا النوع من الاستقبال تقليداً من تقاليد المجمع فيما يستأنف من حياته الطويلة .

وكان العضو الجديد الذي استقبل في التاسع والعشرين من شهر أكتوبر الماضي حضرة صاحب المعالي عبد الحميد بدوي باشا وزير الخارجية ، وقد نتخب في آخر الدورة الماضية ، وصدر المرسوم بتعيينه خلفاً للمغفور له محمد نوفيق رفعت باشا الذي كان رئيساً للمجمع .

وقد جرت العادة في الأكاديمية الفرنسية بأن تفتتح حفل الاستقبال بخطبه يلقيها العضو الجديد يشكر فيها زملاءه الخالدين ويثني فيها على سلفه .

ثم يجيبه زميله الذي كلّف استقباله فيثني عليه ويحلل آثامه .

ولكن مجمع فؤاد الأول للغة العربية عكس هذا التقليد وجرى على العادة المصرية المألوفة ، فتكلم الدكتور طه حسين بك ، ثم تكلم حضرة صاحب المعالي عبد العزيز فهمي باشا وكان رئيساً للجلسة بالنيابة ، ثم تكلم العضو الجديد .

ونحن ننشر النص الكامل لهذه الخطبة تسجيلاً لهذا التقليد الأكاديمي الجديد .

خطبة مفضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك

سيدي الزميل العزيز

في أوائل العام الدراسي سنة أربع وتسماية وألف استقبلت مدرسة الحقوق في القاهرة شاباً لم يكد يبلغ الثامنة عشرة من عمره . ولكنه كان على ذلك جواب آفاق ، قد تقاذفت به فلوأت فهو أشعث أغبر ؛ لأنه كان على حداثة سنه هذه قد خرج من مصر وزار أقطاراً أخرى ، ثم عاد إلى مصر واستقرت حيث كانت تستقر أسرته في الاسكندرية ، وأخذ يتم تعليمه — ولا أقول يبدأ تعليمه — فقد عانت أنه ابتداء تعليمه في منزل من منازل الوحي الكريم في المدينة المنورة .

هذا الفتى تخرّج في مدرسة العروة الوثقى وظهر منها بشهادة التعليم الابتدائي وكان من المتقدمين تقدماً ملحوظاً . ويظهر أنه شغف بهذا التقدم وأمضى بينه وبين التقدم عهداً منذ ذلك الوقت ، فجعل في المدرسة الثانوية لا ينتقل من فصل إلى فصل إلا كان في الرعيل الأول . حتى إذا كانت الشهادة الثانوية كان هو السباق وكان أول المتخرجين في التعليم الثانوي المصري .

هذا الفتى أقبل في سنة ١٩٠٤ على مدرسة الحقوق ، ولكنه ظل محتفظاً بهذا العهد الذي قطعه وأمضاه بينه وبين السبق ، فظل سباقاً زملائه وأترابه حتى ظفر بإجازة الليسانس .

ثم همّ أن يكون محامياً ، ولكنه صرف عن المحاماة لأنه آانس من نفسه ميلاً إلى العكوف على الدرس — آانس من نفسه انصرافاً عن هذه الحياة الموزعة التي تنفق بين يدي الجماهير إلى حياة أخرى يفرغ فيها لنفسه ويعكف عليها مستقصياً أصول العلم الذي أحبه منذ كان طالباً في المدارس الثانوية . عند ما كان طالباً في المدارس الثانوية في مدرسة رأس التين لم يكن كغيره من الطلاب مشغولاً بهذا الدرس اليسير الذي يمازجه لعب تيسير أيضاً ، ولكنه كان مشغولاً بالتمعق والاستقصاء والبحث حتى في هذه السن المبكرة . وقد ظهرت آثار هذا الميل ، فعنى به أساتذته عناية خاصة وشغف به أترابه شغفاً خاصاً

وأكبروه وإن كان صغير السن ، وجعلوا يخذونه لأنفسهم قدوة ، وجعلوا يتخذون سيرته أسوة حسنة لهم . وُقِنَ به بعض إساتذته فتنة ظاهرة ، حتى لقد مضت أعوام وأعوام ، واختلفت الطرق بهذا الشاب في حياته العملية والعملية ، ثم ذكره أستاذ من إساتذته الانجليز فجأة لأنه رأى بعض أترابه في بعض مكاتب الوزارات . رأى بعض أترابه فذكر عبد الحميد بدوى ، وقرر ألا ينصرف وألا يعود وألا يترك مصر — وكان على جناح سفر — حتى يجدد المعهد بهذا التلميذ النجيب . وفي ذلك الوقت ضرب الميعاد ليلتقى الأستاذ بتلميذه وليجدد الأستاذ ذكرى مدرسة رأس التين الثانوية .

وكان لعبد الحميد بدوى في المدرسة الثانوية أتراب نابهون ، منهم المرحوم أحمد أمين بك . ويظهر أن التنافس البريء الرفيع كان هو الذى يصل بين هذين الشابين . فقد كان كلاهما ذكيًا ، ذكى القلب ، عميق التفكير ، نافذ البصيرة . وكان إعجاب الطلاب والأتراب مقسمًا بين هذين الشابين . فقد حدث أن أستاذًا من إساتذته الانجليز استشير أواستؤمر فيهما فأفتى هذه الفتوى الظريفة وهى : أن أحمد أمين أسرع الى اكتشاف المشكلات ، وأن عبد الحميد بدوى أسرع إلى حل هذه المشكلات .

أبى عبد الحميد بدوى أن يكون محامياً . ولكنه اتصل بالنيابة واشتغل نائباً وقتاً قصيراً . ولكنه على قصر هذه المدة التى تولى فيها أعمال النيابة العمومية لم يستطع إلا أن يحتفظ بمعده الذى أمضاه بينه وبين السبق والتفوق . فقد ترفع أمام المحكمة فى قضية سياسية كان رأى العام فى ذلك الوقت معنيًا بها أشد العناية ، وقد كانت مرافعته خطيرة حقًا . وآية ذلك أنه كسب القضية . ولكنه كسب القضية وغضب فى وقت واحد . غضب لشيء أظنه يأسف عليه الآن . غضب لأن خصمه المحامى لقبه بالشاب . فأى عجب فى أن يغضب شاب لم يتجاوز العشرين من عمره لأنه سمي شابًا أو لقب بالشاب ! أظن أنه الآن يود لو استطاع سماع الأستاذ اسماعيل الشيمى رحمه الله يسميه فيقول : كما قالت الحكومة على لسان نائبها الشاب .

على أن عبد الحميد بدوى لم يظل العمل فى النيابة ، وإنما سافر إلى فرنسا ليتم درسه هناك ، وفى مدينة جرينوبل أتم دروسه وقدم رسالة الدكتوراه . وقد قرأت بالأمس التقرير الذى أرسل من جامعة جرينوبل إلى وزارة

المعارف في سنة ١٩١٢ ، فإذا هذا الشاب لا يزال مصمماً على أن يكون سباقاً ، وإذا هذا الشاب الذي لم يبلغ الخامسة والعشرين بعد قد استطاع أن يحمل أساتذته في جرينوبل على أن يمنحوه — كما يقول الأستاذ العميد — أكثر مما يستطيعون أو كل ما يستطيعون أن يمنحوه . فهم قد منحوه الدكتوراه مع أرفع ألقاب النجاح وأضافوا إلى ذلك تهنئة الممتحنين . ويقول الأستاذ العميد في تقريره إلى وزارة المعارف المصرية إن هذه الرسالة التي نال بها عبد الحميد بدوى حق الامتياز ، رسالة أساسية في الفقه المدني لا يستطيع باحث منذ اليوم أن يستغنى عنها إذا أراد أن يعالج هذا الموضوع الذي عالجه . فهو قد استقصى الموضوع استقصاء نادراً حقاً ، تعمقه في الفقه الروماني واستنبط كيف نشأت هذه الفكرة وكيف استغلت وكيف استنبط منها آثارها المختلفة ، وكيف انتهت إلى ما انتهت إليه من قواعد في هذا الفقه الروماني القديم . ثم امتاز عبد الحميد بدوى امتيازاً خاصاً عند ما درس هذه الفكرة في الفقه الفرنسي في القرون الوسطى . وهذا القسم من رسالته كما يقول الأستاذ العميد هو خير ما في الرسالة ، ولا يمكن الاستغناء عنه بحال من الأحوال لكل من يدرس هذا الموضوع . ثم عرض هذه الفكرة في الفقه الفرنسي الحديث أحسن عرض وتمتعها أحسن تعمق . وإن كان بعض أعضاء لجنة الامتحان كان يود لو استعرض هذه الفكرة في الحقوق أو الفقه الأجنبي غير الفرنسي ، لكن العميد يضيف : أنه لم يكن لهذا سبيل لأن عبد الحميد بدوى رسم لنفسه خطة معينة للدرس ليس فيها الفقه الأجنبي .

عاد عبد الحميد بدوى موفقاً سباقاً كما تعود أن يكون موفقاً سباقاً . ومنذ ذلك الوقت أصبح عبد الحميد بدوى هو الشاب ثم الرجل الذي عرفناه والذي نعرفه الآن ، وقد كملت خصائصه وتمت مزاياه ، وأصبحنا نستطيع أن نتعرفه وأن نتعرف عقله ومزاجه الفكرى الثقافى وشعوره أيضاً . فهو صاحب فكر وشعور ، وليس من هؤلاء الذين قصروا حياتهم على الناحية العقلية الخالصة . وأظنه يفخر لى إن تحدثت عن هذه الناحية الشعورية من نواحي حياته الخصبه . فقد يخيل إلى أنه حين كان طالباً في المدارس الثانوية ، وحين كان طالباً في مدرسة الحقوق ، لم يكن صاحب درس وتعمق للعلم والثقافة فحسب ، ولكنه ارتكب هذه الخطيئة التي يرتكبها كثير من الناس ، فداعب ربة الشعر مداعبة

رقيقة رشيقة لم يلبث أن انصرف عنها . ولست آسف لشيء كما آسف لأنني لم أحفظ ما روي لي من شعره أيام الصبا . فقد أنشدني بعض من أنشدني الشعر شيئاً من شعر ذلك الفتى الذي كان يدرس في المدارس الثانوية وفي مدرسة الحقوق . والذي أذكره أنه كان شعراً عذباً ، وكان شعراً غزلاً فيه كثير من العذوبة والرفقة ولكن فيه كثيراً أيضاً من الجزالة والصرامة .

ثم لم يكن عبد الحميد بدوي يكتبني هذه المداعبة الخالصة بينه وبين ربة الشعر ، بل كان يحب مجالس الشعراء أيضاً . فقد حدثت أنه كان في أثناء هذا الشباب لا يكتبني بالانصراف إلى كتب الحقوق ومجالس الأساتذة ، ولكنه كان يحب لوناً من مجالس الشعراء ، وهو بنوع خاص هذا اللون الشعبي الذي كان يجمع بين الفكاهة الشعبية وهذه السذاجة المصرية الحلوة وبين شيء من البؤس والالم الذي ينضح النفس ويكوّن الرجولة ، ثم هذا النحو من الإحساس الرفيع بمقائق الحياة . وكان عبد الحميد بدوي فيما حدثت يختلف أحيانا إلى هذه المجالس كمجلس إمام العبد .

هذا العصر الذي أقبل فيه عبد الحميد بدوي على القاهرة واختلف فيه إلى مجالس الجد في مدرسة الحقوق ، وإلى مجالس الدعاة في بعض الأندية حيث كان الشعراء يضحكون ويخفون الألم بهذا الضحك ويداعبون ويخفون البؤس بهذه الدعابة ، هذا العصر كان عصراً خطيراً حقاً في تاريخ نهضتنا التي نحياها الآن . كان أشبه شيء بمنحدر مرتفع قد ارتقت إلى قته جماعة من أعلام الحياة المصرية ، وجعلت جماعة أخرى من الشباب تصعد من أسفل هذا المنحدر تصعيداً يختلف قوة وضعفاً ، بين هذه الجماعة من يصعدون تصعيداً سريعاً ، وبينهم من يصعدون تصعيداً فيه شيء من البطء والأناة . وكان هؤلاء الذين وصلوا إلى القمة ينظرون إلى هذه الجماعة الناشئة المصعدة نظرة فيها كثير جداً من الرفق وفيها كثير جداً من الحب والتشجيع . وربما أضافوا إلى نظرهم هذه الرقيقة المشجعة إشارات بالأيدي ودعاء باللسنة يشجع هؤلاء الشبان في أن يمضوا في طريقهم وأن يحمّلوا جهد التصعيد وأن يستريدوا من العزم والحزم والقدرة على احتمال المصاعب .

وكان على هذه القمة بين هؤلاء الأعلام جماعة ، لا أظن أنها تضيق إذا ذكرت الآن أو سميت بعض أعضائها . كان على هذه القمة أحمد لطفي السيد باشا

## في الحجج القوي

وعبد العزيز فهمي باشا . وكان لطفي السيد بناديه في الجريدة وعبد العزيز فهمي الذي كان رفيقاً له لا يفارقه وجمع من أصحابهما . كان هؤلاء ينظرون إلينا نحن الشبان الذين كنا في أسفل الجبل نحاول أن نصعد هذه النظرة التي يملؤها الحب والرفق والعطف والتشجيع ، وربما أشاروا إلينا بالأيدي وربما دعونا أن نتابعهم حتى نبلغهم قليلاً قليلاً . وربما تكلفوا الهبوط إلينا ليأخذوا بأيدينا . وكنا جميعاً : عبد الحميد بدوي ومحمد حسين هيكل وغيرنا ننظر إلى هؤلاء السادة في كثير جداً من الإعجاب وفي كثير جداً من الحب . وكنا نتحرق شوقاً إلى أن نصل إليهم ونتحدث ونسمع ونستفيد .

وما زال هؤلاء السادة يصعدون ونحن نصعد من وراءهم وهم يلتفتون إلينا بين حين وحين يشيرون ويدعون ويشجعون حتى أتبع لنا أن نبلغ مكاتنا من هذا الجبل . وإذا نحن رفقاء ، وإذا هم يلحظوننا لا كما يلحظ الآباء أبناءهم الصغار بل كما يلحظ الآباء أبناءهم الكبار . وإذا هم يفرحون إذ يرون أبناءهم ينهضون بهذه المهمة ويحتملون بعض المضاعف ويكابدون بعض الخطوب .

وكان أسرع هذا الجيل الناشئ إلى رضا هؤلاء السادة وإلى إعجابهم وإلى عنايتهم به وإلحاحهم في العناية عبد الحميد بدوي الذي نستقبله اليوم . كان سابقنا جميعاً إلى رضا هؤلاء السادة ، وهو الذي فاز بالخطوة أكاد أقول من دوننا كافة فأثروه إيثاراً غريباً ؛ لأنه بالطبع كان أحقنا بهذا الإيثار .

ولم يكده يعود من أوروبا ويستقر أستاذاً في مدرسة الحقوق حتى أصبح واحداً من هؤلاء السادة . وإذا هو على شابه أب من الآباء ، وإذا هو يلحظ رفاقه الذين كانوا يرافقونه في التصعيد كما يلحظهم هؤلاء الشيوخ . وإذا هؤلاء الشباب ، هؤلاء الرفاق الذين بدءوا معه الزحمة ينظرون إليه كما كانوا ينظرون إلى آبائهم وإلى شيوخهم هؤلاء . وإذا هم ينتظرون منه أن يشير إليهم مشجعاً ، وأن يدعوهم بلسانه مشجعاً أيضاً .

وما أنا في حاجة إلى أن أتحدث عن المناصب التي ارتقى إليها عبد الحميد بدوي ، فهو كان أستاذاً وقاضياً وسكرتيراً فنيّاً لثروت باشا . وهو كان سكرتيراً عاماً لمجلس الوزراء : وهو كان مستشاراً ملكياً ثم رئيساً للجنة قضايا الحكومة ثم وزيراً للمالية ، وهو الآن وزير للخارجية . كل هذه الأشياء لا غناء في ذكرها لأن الناس جميعاً يعرفونها . لكن هناك أشياء قليلة هي التي تستحق

أن أفق عندها وأن أتحدث عنها قليلاً، وهي هذه البيئات التي اختلقت على عبد الحميد بدوي أو التي ألم بها عبد الحميد بدوي . فعبد الحميد بدوي طالب دائماً ، متعلم دائماً . وليس من هؤلاء الناس الذين يعتبرون إجازة الدراسة اللسانيات أو الدكتوراه كما كان يقول له الملك العظيم فؤاد ورقة طلاق بينهم وبين العلم . لكن عبد الحميد بدوي لا يبلغ من العلم درجة إلا ارتقى لأرفع منها . ولا يستطيع أن يفهم هذه الحياة الغافلة التي تكثر النظر في المرأة ، والتي تعجب بما ترى . ولكنه ساخط دائماً ، طموح دائماً ، طامع دائماً ، لا يبلغ شيئاً إلا طلب خيراً منه ، لا يرضى عن قسط يبلغه من علم أو أدب أو ثقافة . فهو متعلم دائماً مهما يبلغ من الرقي في حياته الاجتماعية ، ومهما يبلغ حظه من العلم والثقافة . وأؤكد لكم أنه أعظم جداً مما نظن .

لا يمر عبد الحميد بدوي ببيئة إلا انتفع في نفسه وعلمه وثقافته وتجربته العقلية بهذه البيئة أكثر مما تنتفع منه هذه البيئة . ومع ذلك أي الناس يستطيع أن يقول إن عبد الحميد بدوي مر في بيئة من البيئات دون أن يترك فيها أثراً رائعاً .

كان عبد الحميد بدوي متصلاً بأرفع بيئة في مصر من الناحية العقلية ومن ناحية هذا الترف الذهني النادر في بلاد الشرق . كان متصلاً بثروت ، وكان متصلاً بعملى ، وكان مرافقاً دائماً للطفى السيد وعبد العزيز فهمي وأمثالهم . وقد تأثر بهذه البيئة في تكوين ثقافته التي أسمىها الثقافة المترفة ؛ فهي ليست الثقافة اليسيرة السهلة التي تنال من قرب لكنها ثقافة متخيرة أشد التخير وأدقه . متخيرة في نوعها ، وفي شكلها ، وفي صورتها ، وفي طبيعتها أيضاً .

فعبد الحميد بدوي منذ كان طالباً يبحث عن الجيد المختار في الأدب العربي ، وعن الجيد المختار في الشعر القديم والنثر القديم ، ويتقن ما استطاع إلى الإتيان سبيلاً هاتين اللغتين اللتين نعى بهما في مصر وهما اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية ، حتى بلغ من هاتين اللغتين أقصى ما يستطيع أن يبلغه إنجليزي قادر من لغته الإنجليزية ، وأقصى ما يستطيع فرنسي ماهر أن يبلغه من لغته الفرنسية . ولا أقول هذا مبالغة ولا غلوّاً ، ولكني أقول عن خبرة وعن شهادة القادرين على أن يشهدوا .

نعمد الحميد بدوي حين يتحدث إلى الإنجليزي وحين يتحدث إلى الفرنسيين

يخلبهم أكثر مما يخلبهم الإنجليزية أو الفرنسية، لافي النطق لحسب ، فالنطق أيسر الأشياء ، لكن في التعمق في اللغة وفي إتقانه لأسرارها ودقائقها وأدبها الرفيع . لايفوته من الأدب الانجليزي أو الفرنسي شيء لافي القديم ولا في الحديث ولا فيما ينشأ ويظهر بين وقت ووقت .

فبعد الحميد بدوى من أكثر الناس قراءة ، ولعله أن يكون أكثر الناس قراءة في مصر ، ولعله أن يكون أكثر الناس قراءة في اللغة العربية واللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية . وهو بهذا استطاع أن يكون لنفسه هذه الثقافة العالية الرفيعة المترفة المتخيرة التي لا يستمتع بها كثير من المصريين في هذا العصر

وأيسر ما يصور لنا هذه الثقافة الممتازة الرفيعة أى أثر من هذه الآثار القليلة التي سمح عبد الحميد بدوى أن تنشر وأن تذاع على الناس . وأؤكد لكم أنى كنت اليوم صباحاً أقرأ محاضرة له عن حرية القول . وأؤكد لكم أنى لا أذكر أنى تأثرت بشيء من هذه الناحية ناحية العلم العميق والدرس المستقصى والظرف في التعبير ، بل الظرف في التصوير والتفكير كما تأثرت بهذا الفصل أو بهذه المحاضرة الرائعة التي استقصى فيها عبد الحميد بدوى في صحف قليلة جداً . ولكن أى استقصاء وأى دقة ؟ تاريخ حرية القول وما اختلفت على حرية القول من أطوار من الناحية الاجتماعية ومن الناحية السياسية ، ثم من الناحية القانونية والدستورية بنوع خاص .

ثم هو على هذا كله لا ينتهى من بحثه إلا بعد أن يستقصيه أحسن استقصاء وأدقه بالقياس إلى حياتنا العصرية الحديثة .

وغير هذا من هذه الفصول القليلة التي سمح بنشرها عبد الحميد بدوى يكفي أن يقرأها أى إنسان مثقف ليحصل على فكرة واضحة من هذا النوع من الثقافة التي يستمتع بها عبد الحميد بدوى . فهي كما قلت ليست ثقافة عادية ، وليست ثقافة شائعة ، وليست ثقافة تمتاز بالسهة والعمق لحسب ، ولكنها تمتاز قبل كل شيء بهذا الظرف وهذا الترف وهذا الارتفاع في النوع والشكل جميعاً .

ولقد كنت أقرأ من فصول عبد الحميد بدوى على قلبها ، فأذكر مطلع قصيدة غزلية لبعض الشعراء الفرنسيين - ولا أدري كيف يوجه الغزل إلى عبد الحميد

## في المجمع الغوى

بدوى ، ولكن هذا المطلع يصور عقله أصدق تصوير - فهذا الشاعر يقول لصاحبه : إن نفسك منظر رائع من مناظر الطبيعة المختلفة . فعبد الحميد بدوى نفسه هذه النفس . نفسه رائعة حقا لأنها نفس كثيرة متعددة ، ليست نفساً واحدة لكنها أنفس لا تكاد تحصى . أنفس ترونها في الأدب ، وترونها في العلوم ، وترونها في الفقه ، وترونها في الاقتصاد ، وترونها في السياسة ترونها فيما شئتم من موضوعات المعرفة الإنسانية ؛ فهي ليست غريبة في أى فرع ، وهي ليست غريبة في أى مسألة .

فعبد الحميد بدوى إذا تحدث في مسألة لا يتحدث إلا بعد أن يقتلها درساً وبحثاً وتعمقاً واستقصاءً . وإذا سمح لنفسه أن يتحدث في أشياء ، فأنما يتحدث عن علم دقيق عميق كأشد ما تكون الدقة والعمق . ولذلك لا يشعر السامع له أو المتحدث إليه أو القارئ لبعض ما ينشر أنه غريب في أى بحث أو أى نوع من أنواع المعرفة التي يتحدث عنها .

وعبد الحميد بدوى يذكرنى بأديب فرنسى عظيم . كنت أقرأ أيضا هذا الصباح خطبته في شكره للمجمع الغوى الفرنسى عند ما انتخب عضواً من أعضائه ، وهو الشاعر الفرنسى والكاتب الفرنسى «بول فاليرى» ، وأخص ما يمتاز به بول فاليرى أنه صاحب عقل قبل أن يكون صاحب أى شيء آخر . صاحب عقل ، فهو يحكم عقله في قلبه ، ويحكم عقله في شعوره ، ويحكم عقله بنوع خاص في كل ما يصدر عنه من لفظ شعراً كان أو نثراً . وليس اصعب من تحكيم العقل في الشعر ؛ ومع ذلك فبول فاليرى هو شاعر العقلاء أو عاقل الشعراء كما تشاءون ، وهو الذى أخضع الشعر لسلطان العقل إخضاعاً تاماً ، وهو الذى نستطيع أن نقرأ شعره ، فاذا هو يمس قلوبنا ويمس عواطفنا ، ولكنه يمس عقولنا قبل كل شيء .

ثم هو إلى جانب إكباره للعقل ، صاحب ظرف وترف وارتفاع عن هذه الأشياء الشائعة التي تتمثل فيها ضخامة الجماهير وتتمثل فيها عواطف الدهماء . وبول فاليرى يمثل هذه الأرستقراطية العقلية الممتازة . وأؤكد لكم أننى ما قرأت لعبد الحميد بدوى شيئاً ولا سمعته يخطب ولا يتحدث إليه في موضوع من الموضوعات إلا ذكرت بول فاليرى . وكل ما بين الرجلين من الفرق ، أن عبداً الحميد بدوى مشغوف بالفقه شغفاً خاصاً ، وينظر إلى الأدب نظرة فيها شئ ،

من الحب ولكن فيها شيء من الإشفاق والرفق بهؤلاء الأدياء الذين ينفقون حياتهم في الكلام .

لست أدري لو أننا أردنا أن نحصى الأعمال الفنية الرائعة التي قدمها عبد الحميد بدوى إلى جمهور المثقفين أنظف شيء قليل أم نظف شيء كثير ؟ أما الذين يتبعون الفهارس ويتبعون كتب الببليوغرافى فإنهم لا يظفرون لعبد الحميد بدوى بشيء كثير لأنه مقل .

كره المحاماة لأنه بخل بنفسه على الجماهير . وأحسبه كره التأليف لأنه بخل بنفسه على الجماهير لأن يؤلف كتاباً بعد رسالة الدكتوراه ، لكنه ألقى بعض المحاضرات وسمح بنشرها ، فحصولها المادى فى الفهارس وفى الببليوغرافى قليل . ولكن أهذا حقاً هو الذى يمكن أن تقدر به جهود عبد الحميد بدوى فى الثقافة وفى الفن ؟ أظن لا . وأظننا عند ما يزيد أن نحصى أعمال عبد الحميد بدوى يجب أن نذهب إلى محفوظات الدولة ، إلى الوزارات التى عمل فيها ، وإلى رئاسة مجلس الوزراء ، وإلى أقلام القضاة . وهنا يحتاج عبد الحميد بدوى إلى «بيوغراف» يحتاج إلى رجل خاص يخصص نفسه للأعمال الرائعة التى تركها عبد الحميد بدوى فى محفوظات الدولة ، لاتباح للجماهير ولكنها ستباح يوماً من الأيام للتاريخ ، فيعرف التاريخ يوماً خيراً مما نعرف ويثنى التاريخ أحسن مما نثنى .

ليقل القائلون فى عبد الحميد بدوى ما يشاءون . ولكنى الآن أكتفى بأن أقول فى عبد الحميد بدوى أننا حين نستقبله اليوم فى مجمعا إنما نستقبل صفحة من أقوم وأرفع صحف التاريخ المصرى الحديث . فنشد نهضت مصر نهضتها السياسية الأخيرة لم يتصل مصرى بالإنجليزية لمفاوضة إلا شارك فيها عبد الحميد بدوى ، وشارك فيها أحسن مشاركة وأقومها .

وواضح جداً أنها السادة ، أننا لا نعرف من مفاوضاتنا مع الإنجليز إلا القليل ، وإن الذى نجعله وسيعرفه التاريخ أكثر جداً مما نعرفه .

إذاً : فعبد الحميد بدوى وما أبلاه فى مفاوضات عدلى وثروت ومحمد محمود وفى كل الاتصالات التى كانت بين المصريين والإنجليز ، هذا البلاء الرائع قد قدر علينا نحن بحكم الظروف أن نجعله . ولكن ما وصل إلينا من بواكيره ومن بواده يعطينا فكرة عنه خطيرة حقاً ، ككل شيء يمكن أن يصدر عن عبد الحميد بدوى .

ثم لم يقف بلاء عبد الحميد بدوى في هذه الناحية من اتصالنا بملفائنا الإنجليز ، لكن عبد الحميد بدوى يذكر دائماً في كل اتصال بين مصر وبين أية دولة أجنبية منذ ثورتنا الوطنية .

فبعد الحميد بدوى له أعظم الأثر في الصلة بيننا وبين أوروبا في مسألة إلغاء الامتيازات . وموقفه في « مونترية » أو مانعرفه عن موقفه في مونترية أظهر وأقوى من أن يحتاج إلى تفصيل .

وعبد الحميد بدوى صاحب الاتصال في هذه الدقائق التي نجعلها ، وتعرفها الحكومات المصرية على اختلافها ، وفي تكوين هذه الصلات الدقيقة المعقدة التي تصل بيننا وبين الدول على اختلافها في كل ناحية من هذه النواحي .

كانت الحكومة وما تزال الحكومات المصرية ترجع إلى عبد الحميد بدوى لأنه هو وحده الذي يحسن توجيه الحكومات في مثل هذه الأشياء .

وأخيراً ذهب عبد الحميد بدوى إلى سان فرانسيسكو ، وعاد ومعه ميثاق سان فرانسيسكو الذي دافع عنه أمام البرلمان حتى أقره البرلمان .

ولست أدري أراض أنا أم غير راض عن هذا الميثاق . ولكنى لا أشك أن عبد الحميد بدوى نفسه ليس راضياً عن هذا الميثاق . وما عرفت عبد الحميد

بدوى راضياً عن شيء . ولذلك أقول إنه غير راض . وهنا تظهر المزايا الحقيقية لعبد الحميد بدوى . فهو ليس صاحب خيال ؛ وهو ليس صاحب اندفاع وراء

المجردات . لكنه صاحب خيال بديع بعيد المدى ، وصاحب نظرات واقعية . فهو لا يسترسل مع الخيال كما يهيم الأدباء والشعراء والفلاسفة ، لكنه لا يستسلم

للوواقع فيبقى ثابتاً في مكانه كبير الجناح . وإنما قد كونه لنفسه مزاجاً بديعاً من هذه الواقعية والخيالية في وقت واحد . فهو صاحب خيال بديع ، وهو صاحب

ملاحظة دقيقة للواقع . ولذلك ترونه دائماً قانعاً وترونه دائماً طامعاً . وهو من الأشخاص النادرين الذين يجمعون بين الطمع والقناعة والطموح والاعتدال .

سيدى الزميل العزيز . إن هذا المجمع هو الذى دعاك إلى أن تشرفه بالمشاركة في عمله الخطير .

لم تسع إليه ، ولم تفكر في السعى إليه ؛ ولم يخطر لك قط أنك ستكون عضواً من أعضائه . وإنما فوجئت بهذه العضوية مفاجأة لأن أعضاء هذا المجمع

يقدرونك أكثر مما تقدر نفسك ، ويكبرونك أكثر مما تكبر نفسك ،

وينتظرون منك أكثر مما تنتظر من نفسك . وهم قد فاجئوك بهذا الاختيار ، وهم بذلك قد أعفوك من بعض التقاليد الأكاديمية التي ما أظن أنك تتردد في أن تؤذيها لو أنك حرصت على أن تكون عضواً في هذا المجمع . فن التقاليد الأكاديمية أن يسعى من يرشح نفسه إلى المجمع وأن يطوف بالأعضاء يستعطفهم ويستعينهم ويطلب منهم التأييد ليظفر بهذه العضوية .

أعفيت أنت من هذا ، وأعفيت من هذا إلى حد أنك لست في حاجة إلى أن تشكر المجمع ولكن المجمع هو المحتاج ، أو أشعر أنه مضطر أن يشكر لك أنك قبلت عضويته .

فأنت في رأي نفسك فقيه ، وأنت في رأي نفسك صاحب قانون واقتصاد وسياسة ، وأنت في رأي نفسك بعيد — كما تظن أو كما تقول — عن مسائل اللغة وأساليبها ودقتها وسلامتها أو غير هذا من الموضوعات التي يعني بها هذا المجمع .

أنت في رأي نفسك كذلك . ولكنك — وأستطيع أن أقولها الآن بكل شجاعة — مخطيء كل الخطأ في هذا الرأي . فما أعرف بين المثقفين الممتازين من المصريين أقدر منك على تحديد الألفاظ . وما أعرف بين المثقفين الممتازين أقدر منك على تحديد المعاني قبل أن تختار لها اللفظ . وقد كان أناتول فرانس يقول : إن الكلمات إنما هي المعاني . واللغة التي ليس لها معان لا يمكن أن توجد فيها الكلمات . وأنت تشعر بهذا أدق الشعور وأدقه وأعمقه . وأبغض شيء إليك اللفظ الذي لا يدل على شيء ، وأبغض شيء لديك هذه الألفاظ العامة الغامضة التي لا ترسم معانيها رسماً دقيقاً محددًا بحيث لا تكون موضع الجدل . فأنت من هذه الناحية أقدر المثقفين على هذا التحديد الذي يحتاج إليه المجمع ، الذي عند ما يريد أن يضع معجماً لغوياً أو يحدد مصطلحاً لا أظن أن أحداً يستطيع أن يشاركك في هذا إلا أن يكون أستاذنا عبد العزيز باشا فهمي . فكلما حرص كل الحرص على دقة الألفاظ ورسم الخواطر رسماً يوشك أن يكون نظرياً ، وكلما يريد أن ترى رأي العين أو تلمس بالأيدي .

ثم أنت فيما ترى صاحب فقه . وأظنك توافقني على أن أحداً لم يخدم اللغة العربية في تاريخها القديم كما خدمها الفقهاء . فهم الذين مهدوا هذه اللغة ويسروها وجعلوها حقاً لغة علم وفلسفة وتفكير عقلي عميق دقيق .

## في المجمع التفرى

كل شىء فيك كان يؤهلك لتكون عضواً في هذا المجمع : ثقافتك الواسعة العميقة . ترفك العقلي الممتاز . حرصك على الدقة والتعمق . حرصك على التصوير الصحيح . بغضك للألفاظ الغامضة . حبك للألفاظ المحددة الواضحة . شعورك المترف . ذوقك المصنئ . طبعك النقي . عقلك الذكي . قلبك الكبير .  
كل هذا كان يؤهلك لتكون عضواً في هذا المجمع . وكل هذا الذى دعانا لأن نفاجئك بهذه العضوية .

فاذا كان لى أن أقول شيئاً هو أن أهنيء المجمع بأنك أصبحت عضواً فيه ، وأن أهنيءك بأنك طوفت ما طوفت ، ذهبت إلى الحجاز ناشئاً وستذهب إليه قريباً إن شاء الله . ذهبت إلى أوربا وأمريكا ، واختلفت بك الأندية ، واضطربت في حياتك أشد ما يضطرب به الناس في الحياة . ثم عدت آخر الأمر إلى هؤلاء الأصدقاء — هؤلاء الأصدقاء الذين لحظوك وأنت شاب تصعد في الجبل تصعيداً رقيقاً ، وكانوا ينظرون إليك محبين مشجعين . وهؤلاء الأصدقاء الذين صعدوا معك في الجبل ، فشاركوك في مشقة هذا التصعيد . ثم شاركوك في الوصول إلى هذا المركز ، الذى تستطيعون فيه جميعاً أن تخدموا مصر . ثم هم يرمقونك في شىء كثير جداً من الأكارب والاعجاب ، ومن الغبطة أيضاً ، يتمنون أن يتاح لهم بعض ما أتبع لك من الأسباب التى أدت بك إلى هذه المنزلة الرفيعة .

كلمة حضرة صاحب المعالي عبد العزيز فهمى باشا

اسمحوا لى — وإن كان برنامج الحفلة لا يأذن لى بالكلام بعد الأستاذ الدكتور طه بك حسين إلا أن عبارة الأستاذ الدكتور طه أتى فيها ما يضطرنى اضطراباً ألا أكتم شهادة أعرفها ، وأنا ممن لا يكتمون الشهادة قطعاً .  
قال الأستاذ طه فى آخر عبارته إن عبد الحميد بدوى باشا وإياه كانا ممن يصعدان فى الجبل كما يدركا القمة التى وصل إليها من سبقوه فى السن ويسميهم الشيوخ .

ثم قال فى عبارته الأولى إن هؤلاء الشيوخ كانوا يتلقون من وصل إلى القمة من هؤلاء المصعدين الشبان ، يتلقونه على اعتبار أنه ابنهم الأكبر .

الواقع فيما يتعلق بعبد الحميد بدوى باشا - وأترك الدكتور طه بك - أوكد لإخوانى أنى وقد تفضل الأستاذ طه بك فذكرنى من بين هؤلاء الشيوخ ، وقد قبلت قوله هذا لأنى أنا شيخ حقاً لأنى فى الخامسة والسبعين - أوكد لكم أن عبد الحميد باشا بدوى حينما وصل إلى القمة تلقاه هؤلاء الشيوخ الذين يشير إليهم الدكتور طه بك . تلقوه على أنه ليس ابنهم الأكبر ، بل شيخهم الأكبر .

لا أقول هذا بغير دليل ، لأنى ما عودت أن أقول خلاف ما أعتقد ، وخلاف ما الدليل قائم لى عليه .

عبد الحميد بدوى باشا لم أنصل به كثيراً فى شبابه ، وفى مراحل الأولى التى أشار إليها الأستاذ طه بك . وإنما اتصلت به فى سنة ١٩٢٥ حينما كنت وزيراً للحقانية ، وكانت اللجنة الاستشارية - لجنة القوانين - تعقد تحت رئاسة وزير الحقانية . كان رئيس قلم القضايا فى ذلك العهد الأستاذ الكبير « كازيلى » وكان معه من المستشارين رجال أقوياء جداً فى فقه القانون . كان معه « رانليه » و « روستيه » وكان معه من الفقهاء الأجانب الكبار ، وكان معه عبد الحميد بدوى . فالذى أشهد به وأقرره أنهم كانوا إذا تناقشوا فى مسألة من المسائل وأخذ الرأى فيها يضطرب ، كان عبد الحميد بدوى يفوقهم جميعاً رأياً ، وكانوا جميعاً يخضعون لما يبدى من الرأى . تأتى الكلمة فكل يبدى فيها رأيه وكل يناقش فى رأيه هذا . وعبد الحميد بدوى متى أبدى رأياً أبده فحُضِعَ لرأيه الكل وهذه شهادة أقررها كما أقررها بين يدى الله .

لذلك لا تظنوا أن الأستاذ طه بك بالغ أية مبالغة فيما وصف به عبد الحميد بدوى باشا من حال كان عليه فى شبابه ، أو عند ما تقدمت به فى السن . بل عبد الحميد باشا بدوى شأنه هو هذا الشأن الذى يمتبره فيه الشيوخ شيخاً لهم كما قلت . وهذه هى الشهادة التى أردت أن أوجهها أمام حضراتكم .

خطبة مفضرة صامب العالي عبد الحميد بمرى باث

سادتي

إن مجعكم الموقر ليبدو في أوائل عقده الثاني ركناً من أركان نهضة هذه البلاد كأنه وهي أبعد منه عهداً وأطول عمراً كان قريناً لها منذ قامت . وليس هذا من خدعة النظر أو من تصوير الخيال ، وإنما الحاجة الشديدة إليه هي التي جعلته غداة إنشائه قد ركب في بنية تلك النهضة وائتلف مع نسيجها ، فهو جزء منها لا بد منه ولا غنى عنه . غير أنه لم يكن ليبلغ تلك الغاية لو لم يكن قد ألف من جهابذة أسبقوا عليه من فضلهم ، وأفاضوا من عملهم ، ما اتسق به واقع الحال مع ما عقد عليه من آمال .

وليس هذا مجال القول في تاريخ المجمع اللغوية وأثرها في تطور اللغات . ثم إنه سبقني إليه فأضل من الزملاء إذ عالج موضوعاً لم يدع مقالاً لقاتل . وقد أدرك الناس أن اللغات سواء قيل في نشأتها إنها توقيف أم قيل إنها اصطلاح - كائنات حية ، تعرض لمفرداتها الولادة والموت ، والتغير والتحول ، تارة في أشكالها وصورها الظاهرة وطوراً في معانيها ، كما تعرض لها في جلتها الولادة والموت والصحة والعقم . وهي أبدأ في انتقال من حال إلى حال . وقد يلوح أن الأمر في هذا الانتقال فوضى ، ولكنه يجري في الواقع على نظام من قوانين نفسية وأخرى اجتماعية وغيرها صوتية ، وعلى سنن من طبائع الحياة لا يعسر إدراكها وتقصيها . وهي في هذا الانتقال عرضة دائماً للاعوجاج والشطط ، فهي بحاجة إلى من يقوم ويسدد ويصحح . وكثيراً ما يقوم بذلك الموهوبون من الكتاب والشعراء أو العلماء الذين يتفرون على الأبحاث اللغوية . ولكن ذلك كله لا يغني عن الجماعة تتداول وتتبادل الرأي وتمحص الوقائع وتستخلص الحقائق . فإن أنشئ مجمع لغوي فإن وظيفته تكون معدة حاضرة .

وإن يكن أي بلد في أي زمن ، يطيب حالا ، ويصيب خيراً ، بإنشاء مجمع لتدبير أمر لغته ، فإن إنشاء مجمع للغة العربية ، في مصر ، وفي الآونة التي أنشئ فيها ، جدير بأن يعتبر من الأقدار السعيدة والأحداث الفريدة .

ولست بالقائل إن لغتنا أفضل اللغات وأوسعها ، فإنما يستطيع ذلك من وعائها ووعي غيرها ، وأحاط بها جميعاً إحاطة كاملة ، فكان قادراً على أن يرسل فيها حكماً يبين الفاضل والمفضول . ولكنني أشعر ، في غير زهو أو مكاترة ، بأنها عزيزة علينا ، وأنها لم تعد لها في نفوسنا لغة أخرى مهما غنيت بالآثار ، ولها بوصف أنها لغة الكتاب عزة فوق عزة وسلطان على النفوس لا يجاري .

ولكن هذه اللغة العزيزة ظلت قروناً طويلة في حال أشبه بالسبات العميق لأن أبنائها كانوا في مثل تلك الحال . واللغة وآثارها ليست إلا خلاصة للمدنية التي هي أداة للتعبير ووسيلة التناغم فيها ، ورمز تلك المدنية ومظهرها . وإنما تنتعش اللغات وتزدهر بما تمد به من أفكار وصور ، وما ينفث فيها من روح ، ويبعث فيها من حياة .

ومن طبائع عصور التأخر أن يعظم فيها شأن اللغة الدارجة والعامية ؛ فإن انكاس الخاصة يجعل لها الغلبة والسيادة . على أنه بالرغم من أن تلك اللغة قلما تدون ومن أنها من أجل ذلك يسهل زوالها أو تناسخها فإن حاضرها ينطوي على صور وأخيلة ومجازات لا تجايفها البراعة أو الإبداع . أما اللغة المكتوبة فقد انعكس عليها ما أدرك الأمم العربية من خمول وتأخر وعقم بالأفذاذ .

وبعد فإن اللغة العربية كانت بطبيعة أصولها تعيش بعمز عن اللغات الأخرى . واللغات كغيرها من الكائنات الحية تنتفع بالتلقيح والتوليد ، وتزدهر بالمنافسة والتقليد .

نعم ! اتصلت العربية باليونانية حين نقلت عن هذه الأخيرة المؤلفات العلمية والفلسفية . غير أن اللغة العربية إذا كانت قد أفادت بهذا الاتصال في مادتها العلمية فقد بقيت حيث كانت من ناحية الأدب والفن . ومضت تنمو وتتطور بملكاتها الخاصة ، وبقدر غير كبير من التأثر بملكات اللغات الأخرى ، وأنتجت عصرًا لم يخل من الابتكار ومن روائع الآثار .

وقد يكون التأثر بتلك اللغات جاء من طريق نقل بعض آثارها ، مما لم يبلغنا خبره على وجه التحقيق ، أو من انتقال بعض أهل تلك اللغات إلى الإسلام ، أو اشتراكهم مع المسلمين في بعض شؤون الحياة . ومهما يكن من ذلك كله فإن اللغة العربية كانت طوال تلك القرون في نواحي الأدب والفن تكاد تعيش مكثفة بنفسها مستقلة عن غيرها .

ولكن الأمر ليس كذلك في أيامنا هذه . فإن اللغة العربية لم تعد تستطيع أن تعترف غيرها من اللغات . وقد نشأت مدينة اصطلاح على تسميتها بالمدينة الغربية ، محلها البلاد التي تدين بالمسيحية ، وقوامها مزاج من التعاليم الخلقية المسيحية ، ومن طائفة من عادات وتقاليد ونظم وطرائق في المعيشة والتفكير ، مصدرها المدينتان اليونانية والرومانية ، وصور من حياة القرون الوسطى ، وآثار من المدينة العربية ، كل ذلك جعل يتفاعل ويولد في ظل حوادث التاريخ جديداً تلو جديد حتى انتهى إلى صورتها الأخيرة . وهذه المدينة لغات عدة ، ولكل منها آداب جليظة . اشتقت كل أسرة منها من مصدر قديم ، بينها كثير من وجوه التشابه ، كما أن لكل منها طابعاً خاصاً .

وقد دانت الدنيا في العصور الحديثة لهذه المدينة وأهلها ، وهبطت تلك المدينة بلاد الشرق تستعمر تارة ، وطوراً تفرض نفسها ، بفضل ما خلقت من سهولة المواصلات وسرعتها ، وما ابتدعته من وسائل النفوذ والتأثير .

وظلت المدينة العربية بخير ما بقيت بعيدة عن الاحتكاك بالمدينة الغربية وآثارها . وإن يكن ذلك الخير ، أن اللغة بقيت محفوظة في بطون الكتب ، قل أن تتصل بها الحياة ، وأن ماعداها من آثار تلك المدينة أخذ يدركه الأفول . ولكن الغير والأحداث ، لم تجعل لها مناصاً من الدخول في غمرة المعترك العالمي . وهي إما تركت نفسها تغزوها المدينة الغربية فلا تبتغي منها على قليل أو كثير ، وعند ذلك يحس طابعها الخاص ، وتتقطع الأوصال بينها وبين ماضيها . وإما اعتصمت بركن من البقاء ، وعملت على الملاءمة والتوفيق بين مقوماتها وبين ما تأتي به المدينة الغربية من مزايا وفوائد . وهو هذا الطريق الأخير الذي أخذت به مصر وغيرها من البلاد العربية .

وليس ما قدمت جديداً عليكم أو غريباً عنكم ، وإنما أردت أن أسوقه تمهيداً لبسط معضلة في أمر اللغة وتطورها .

ذلك أن العربي الذي يأخذ من المدينة الغربية بسبب ، لا يسعه أن يتجنب نوعاً من الازدواج النفسى والعقلى . فهو يحس بنفسه العربية ضرورياً من الأحاسيس ، وهو في الوقت نفسه — وبقدر ما يكون قد أصاب من آداب لغة غربية أو أكثر ومن فنون أهل تلك اللغة أو اللغات — يتذوق ويحس أذواقاً وأحاسيس أخرى ، ولا يجد سبيلاً إلى استشعارها أو الإعراب عنها إلا بما نقد

إلى نفسه من وسائل تلك اللغة أو اللغات وآداب أهلها وفنونهم . فإذا أراد أن يجيل تلك الأذواق والأحاسيس عربية ، ألنى دون ذلك صعوبات غير قليلة . كذلك لا يسع ذلك العربي نفسه أن يتجنب في سياق الحكاية أو الترسل أو التدليل بعض المعاني والصور التي يكون قد ألفها من ممارسة آداب أجنبية . وقد تكون نائية في العربية ، لا لأن العربية لا يتسع صدرها لمثلها ، ولكن لأن النقل المادى أو الحرفي يجعلها كذلك . ولا شك في أن العربية تستسيغ مثل تلك المعاني والصور ، لو صُبت في قوالب عربية . ولعل القوالب موجودة ولكنها تحتاج إلى تحقيق واستكشاف .

وقد استحدثت المدنية الغربية رقيًا كبيراً في العلوم والفنون وفي شؤون الحياة . وكان من آثار ذلك الرقي ، أن نزل علينا وابل من الألفاظ والاصطلاحات التي تحكى الفرق بين ما بلغته المدنية الغربية ، حين وقفت وأصحابها الركود ، وبين ما وصلت وتصل إليه المدنية الغربية ، منذ مضت تركض ركضاً في استفتاح مغاليق العلوم ، واستكشاف المجهول من أسرار العالم وقوانينه ونظمه . ونفذ هذا السيل الجارف من الألفاظ والاصطلاحات إلى الألسنة بصور مختلف باختلاف مصادرها ، وتتفق في المعجمة والغرابة والوحشية . وتعرض اللسان العربي الصحيح للاختلاط والتشويش . ولم يكن بد إذاً من أن تتولى هيئة منظمة قادرة حفظ ذلك اللسان والقيام على سلامته . وللكتاب والنقاد في هذا الشأن فضل وأى فضل ، فهم هداة الأمة ومقومو لسانها بما يكتبون وينقدون . غير أن الخطر أكبر من أن يجترأ فيه بهذه الوسيلة ، وأجل من أن تهمل معه وسائل توحيد العمل وتركيزه ، وتجميع القوى والكفايات ، في مجمع يرصد ويحقق وينتهى إلى توصيات ؛ فإن تلك الوسائل جديرة بأن تهيب لتلك التوصيات ، ما يجب لها من الهيبة والاحترام ، ومن الذبوع والانتشار .

وقد عنى المجمع بطائفة كبيرة من هذه الألفاظ والاصطلاحات ، ووضع لها ما يقابلها من الألفاظ والاصطلاحات العربية السليمة . وهو ماض في معالجة غيرها وفي وضع ما يجب لمعرفة اللغة وضبطها من معاجم . وجهده في كل ذلك مشكور وإن ظل أكثره مجهولاً . ولو قيس بالوقت الذي سلخه في القيام به كان أجدر بالشكر والثناء .

وأكبر ظني أن العناية بهذا الغرض من أغراض المجمع ، لا تنافي معالجة الازدواج الذي أشرت إليه . فإن الأمر فيها لا يعدو تحديد ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب ، تجعل اللغة ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر . وقد جعل هذا التحديد في مرسوم إنشاء المجمع من أولى غاياته .

ذلك أن اللغات الغربية تتضمن صوراً من الكلام ومعاني وأساليب وأخيلة ليست من ذوق اللغة العربية ، وإن تكن طرائق التفكير الحديثة تسفيها بل تقتضيها في بعض الأحيان . فالمرسوم تهضم اللغة العربية ، بحسب أصولها وأوضاعها ، تلك الصور والمعاني والأساليب والأخيلة وتمثلها وتحيلها عربية الوجه ، ظل الازدواج قائماً وكيان العربية مهدداً .

وعندي أنه قد لا ينقص اللغة العربية ما ينبغي من أسباب الأداء لتلك الصور والمعاني والأساليب والأخيلة ، ولكن المتداول بيننا من مادة اللغة لا يلوح أنه يفي بمثل هذه الحاجة .

وقد يكون من الحق أن اللغة العربية لم تنته إلينا بكليتها ، وأن الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير ، وأن كثيراً من الكلام ذهب بذهاب أهله . ولكن ما علينا من ذلك . وإنه ليكني أن ننتفع بما انتهى إلينا انتفاعاً صحيحاً لجعل لغتنا صالحة لما يزيد لها ، متمسكة لكل قديم وجديد . وهانحن أولاء في المصور القريبة منا نرى الأمة تتخذ لغة من اللغات ، ولا تزال بها تضيف إليها وتنقص منها ، وتغير وتحول وتستحدث في ألفاظها وتراكيبها ، فإذا بالفرع يختلف عن الأصل دون أن يعزب على أهل الأصل فهم اللغة الجديدة أو العكس ، وإذا بهذا الاختلاف لا يخل بما لكل منهما من حسن السبك ومتانة النسج — تلك هي قصة اللغة الانجليزية في أمريكا .

وكما أن الاستقلال السيامي يجب أن يكون قبله كل بلد يعرف قدر نفسه ويحترمها ، من غير أن يحول ذلك دون قدر من التعاون والتعاقد الدولي . كذلك يجب لكل لغة أن تستقل بأوضاعها وبصورها وبأساليبها الخاصة ، من غير أن يحول ذلك دون الاستمارة من غيرها من اللغات والتأثر بالأداب الأخرى . وليس من الاستقلال في شيء أن تقرأ عبارات وصيغاً لا تفهمها على وجهها إلا إذا قرأت ، من خلال الكساء العربي الذي يطالعك ، ما أريد نقله من عبارات

أو صيغ اجنبية . ومما يؤسف له أن تكون دواعي السرعة في الكتابة من أسباب هذا البعد عن رسوم العربية في الخطاب .  
ولا شك في أن القادرين من الكتاب لا يقعون في مثل هذا الخلط ، ولكن قدرآ من التنظيم والتوحيد والتشاور جدير بأن يحفظ للغة سلامتها ، ويبقى عليها مع افتنانها ، قوتها وبهجتها . وهو ما قتم وتقومون به إن شاء الله جماعة وأفراداً .

وقد تقدمنى في هذا المحل كبير من كبراء مصر والرئيس السابق لهذا المجمع . عرفته في صدر حياتى العامة بعد حوادث الثورة المصرية — وكنت إذ ذاك قاضياً وكان مستشاراً بمحكمة الاستئناف بدائرة النقض — في مجالس المغفور له ثروت باشا ، وهو من تعرفون كبير مكانته وصادق أثره في التاريخ المصرى ، ومن لا أنسى أبد الدهر فضله على . وكان رفعت باشا زميلاً لثروت باشا وخلقه في وظائف وزارة العدل . وتولى بعد ذلك الوزارة عدة مرات ، وكان نصيبه في أكثرها وزارة المعارف ولعلها كانت أحب الوزارات إلى نفسه ، ثم تولى رئاسة مجلس النواب أكثر من مرة وعقدت له رئاسة هذا المجمع ، وربما أخطأته رئاسة أخرى كانت منه قاب قوسين أو أدنى .

ويكفى لمرغان قدره أن اسمه كان في صدر الأسماء التى عند ما تمس الحاجة إلى رجل قدير أو عند ما يفتقد الأكفاء . واشتهر في خاصة حياته بشغفه بالأدب وبأنه يقرض الشعر ، وكان ذلك نادراً في حياته . ولعل أمره في ذلك لم يزد على الهواية ؛ فقد كان لا يكتب أو ينظم القصيدة إلا في المناسبات الخاصة ، أو حين تضطره الظروف لإلقاء خطبة مثلاً .

وإن قارته ليتبين أنه يعنى بتخير الألفاظ وبمجزأة الأسلوب عناية تتجاوز المألوف حتى بين الأدباء . وكان يسعفه في ذلك سعة علمه باللغة ومفرداتها . وربما دعاه تبخره فيها إلى إيثار الغريب حين يجده أحسن أداء أو أصح وضعاً . وهو يعتبر بحق من أشد المحافظين على تقاليد اللغة وسننها ، وقد يرميه البعض بالتشدد . ومن سنن الزمان أن يكون خلفه في هذا المجمع من دعاة الترخص . على أنى لا أقول بالترخص إلا بقدر التيسير وفى حدوده . وإنما يستطيع أن يتشدد من كان مثل سلفى في حظه من العلم باللغة ، وفى توفره على دراستها وولعه بالتنقيب فيها .

في المجمع النوى

وقد جاء اختياركم لي للمحل الذي كان يشغله ذلك الاديب الكبير شرقاً  
أعتربه على وجه الزمان . وما كنت لأطمح له ولكن فضلكم أبى إلا أن يجاوز  
قدرى ويسبق أملى . فلن أفيكم حقكم من الشكر على هذا الاختيار أو أفي زميلي  
وزير المعارف على عرضه واستصدار المرسوم به . وإني لادعو الله أن يبارك في  
عمل المجمع وأن يحوطه بمطف حضرة صاحب الجلالة الملك وتأيدته . حفظه الله  
ذخراً لمصر ، وجعل عهده عهد يمن ورخاء .